

حملة نبوخذنصر الثاني أو

السياق التاريخي العام لوضع النقوش البابلية في وادي بريصا

تعود القيمة التاريخية لنقوش وادي بريصا أساساً في كونها تلقي الضوء على الحملة (أو الحملات) التي شنها نبوخذنصر الثاني في لبنان وجواره، وذلك من ضمن المواجهة التاريخية بين وادي النيل وبلاد ما بين النهرين. فمن المعروف كقانون تاريخي أن من كان يسيطر على سورية الطبيعية (من العراق إلى فلسطين، ولبنان في القلب منها) كان يتحكم بمصير العالم القديم. لقد كانت هذه المنطقة، وهي اليوم بلا شك، موضع اهتمام كل الامبراطوريات التي بلغت بلادنا من الشرق أو الغرب. وعليه لقد شكلت السيطرة على بلاد الشام التحدي الأكبر الذي بحسن مواجهته تمكنت الامبراطورية البابلية الجديدة من ترسيخ حضورها، وذلك خصوصاً على يد نبوخذنصر الثاني، الشخصية المحورية في نقوش وادي بريصا.

قامت هذه الامبراطورية في بلاد ما بين النهرين على أنقاض الآشوريين. فحوالي العام 630 ق.م. اصبح نابوبولاصر ملكا على الكلدانيين وسرعان ما أخرج الآشوريين من الوركاء (أوروك) وفي العام 626 (ق.م.). إن صعود الكلدانيين الجدد أدخلهم في صراع مع الفراعنة (الذين كانوا يسيطرون على سورية) انتهى في تمكن نبوخذنصر الثاني (ولي العهد وقائد الجيش) من هزيمة قوات نخاو الثاني المصرية قرب كركميش (605 ق.م.).

توفي نابوبولاصر عام 605 فخلفه ابنه نبوخذنصر الثاني المنهك في مطاردة الفراعنة وحلفائهم في سورية (بعد موقعة كركميش). وباستلامه السلطة استكمل القضاء على الآشوريين وعلى غيرهم من حلفاء المصريين وأنصرف إلى محاولة الاستيلاء على مصر. تغطي نقوش وادي بريصا، من الوجهة التاريخية، بعض وقائع الأحداث في أيام نبوخذنصر الثاني الذي كثيراً ما تنقل بين لبنان وسورية وفلسطين، تأديباً للدويلات المتمردة على سلطته وتصدياً للطموحات المصرية.

ولنا في النص الآتي ما يشرح لنا وضعية نبوخذنصر وما يفسر سبب إقامته في ريلة واجتيازها جبل لبنان من منطقة عكار، إذا كانت طريق الساحل والبقاع مقفلة في وجهه من قبل حلفاء الفراعنة.

حملة نبوخذنصر في لبنان¹

(ص 542) كان الملك (الفرعون) الذي سماه اليونان أو أفريس Ouaphrès أو أبريس Apriès، شاباً طوحاً وتوافقاً إلى العراك والمجد العسكري، ويستعجل استعمال السلاح الذي أعده سلفه على مدى يقارب خمسة عشرة عاماً؛ ولم يجد مبعوثوه لما بلغوا القدس صعوبة في انحياز صدقياً إلى جانبهم في وقت بلغ فيه توتر النفوس ذروته.

أما أدوم ومؤاب والفلسطينيون الذين شاركوا حديثاً في اجتماعات المتمردين رفضوا في آخر الأمر قطع علاقتهم ببابل: وحدها صور والعمونيون استمروا على موقفهم وتحالفوا مع المصريين، شأنهم في ذلك شأن اليهودية. أمام هذا التحدي من ثلاثة أعداء احتار نبوخذنصر في اختيار وجهة تصديه الأولى. أما حزقيال Ezéchiel المكرم في منفاه بحيث يعرف مجريات الأمور يصوره لنا "واقفاً على مفترق الطرق ليستطلع المستقبل: فيخلط أسهم معرفة المستقبل، ويستشير العرافين ويتفحص أحشاء الضحايا"². كانت اليهودية بمثابة رأس جسر منه ينقض المصريون على سورية بأمان، وإذا ما توصل لاحتلالها في الوقت المطلوب فإنه بسرعة يقسم المحالفة إلى ثلاثة أقسام لا يعود بوسعها اللقاء. عمون في الصحراء إلى (ص 543) الشرق، صور وصيدا على الساحل، والفرعون في الجنوب الغربي نحو حدود مضيقة. فأقام في ربله على العاصي في موضع مركزي منه يراقب مجمل سير العمليات، ليتدخل بما لديه من قوات الاحتياط حيث يبرز الخطر أو تلاقي صعوبات مفاجئة؛ ثم أطلق فرقتين على خصميه الأساسيين. واحدة تسلقت لبنان، واستولت على ما فيه من حصون وتركت على صخور وادي بريصاً نصباً لتخليد انتصاره، ثم هبطت منتشرة على طول الساحل متفرغة لحصار صور³.

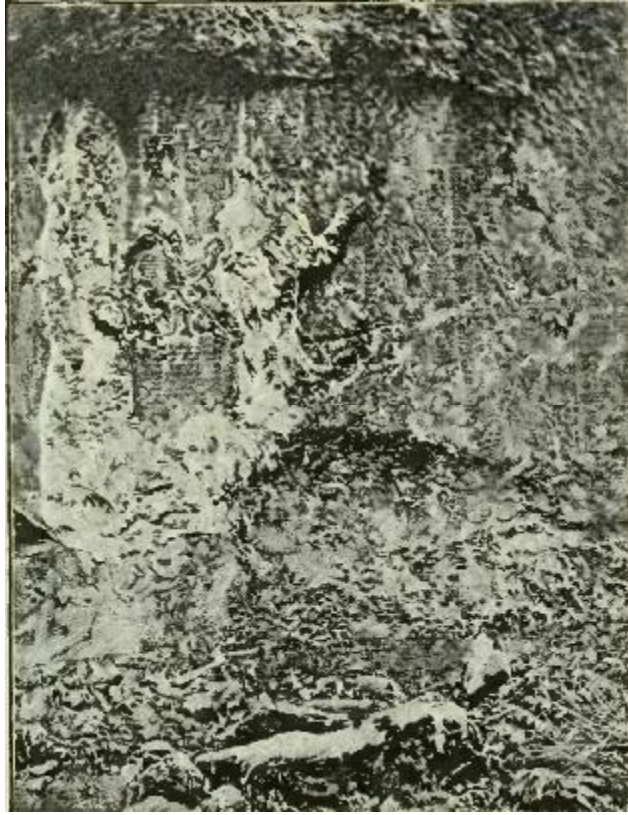
أما الفرقة الثانية فانقضت على صدقيا Zédékias تسومه حرباً لا هوادة فيها. فحرقت القرى والمدن المفتوحة وتركت السهول في مهب غضب الفلسطينيين والأدوميين، وحاصرت قلعتي لاكيش Lakish وإزيكا Azékah، ولم ترابط أمام العاصمة إلا بعد جعلت مناطقها جرداء خاوية. وكانت تضيق الخناق حولها عن قرب عندما علمت أن أبريس ظهر من جهة غزة.

¹ المرجع: G. MASPERO, Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique, les Empires, III, Librairie Hachette, Paris, p. 542 et 543.

² حزقيال، 21: 26.

³ رواية هذه الحملة في فينيقيا واردة في النقوش التي اكتشفها وعلق عليها بونبون، في النقوش البابلية في وادي بريصا، ص 20-22. إن وينكلر Winckler هو الوحيد على حد علمي الذي حاول أن يُعَيِّن موقعاً محدداً للوقائع الواردة في النقوش... يروي الملك في هذه النقوش الأعمال التي قام بها من ترميم المعابد وترميم أسوار بابل وتجديد الأبنية، كل تلك الأمور التي تضعنا في أواسط أو نهاية حكمه. وعليه فإني أتردد بين تاريخين: تاريخ 587-590 (ق.م.) في غمر الحرب اليهودية، وتاريخ 568 (ق.م.) في الحرب ضد أحامسيس Ahmasis... وإني لأفضل التاريخ الأول، بحكم الإقامة المديدة لنبوخذنصر في ربله والتي توفر له الوقت اللازم لنقش هذه النصب في لبنان: ربما تكون نصب وادي بريصا نقشت قبل الاستيلاء على القدس، لأننا لا نعتز فيها على أي تلميح إلى الحرب على اليهود. ولعل العدو المذكور في السطور الأولى هو أبريس الذي كان أسطوله بجوب البحر قبالة السواحل الفينيقية.

لقد كان صدقيا القلق جداً قد التمس النجدة منه التي يبدو أنها بدأت بالظهور. وهذا ما دفع الملك البابلي إلى فك الحصار والانصراف إلى قطع الطريق على المصريين...



نصب نبوخذنصر في وادي بريصا⁴

⁴ رسم بوديه Boudier استناداً إلى صورة من بونبون النقوش البابلية في وادي بريصا، اللوحة II. الخطوط منقوشة بعناية، ولكننا نكشف خيال الملك إلى اليسار، وهو يقبض على القائمة الأمامية اليسار للأسد المنتصب واقفاً والذي يرفع قائمته الأمامية اليمين بوجه الملك الذي يغرز خنجره في صدر الحيوان.